تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

من صدى الدموع التى سكبت :

هذا القلم الذى تقلبه بين أناملك فيسطر كلمات هى فى أغوار القلب أنغام وألحان — فيها الشجن العارم والحزن المقيم ، وفيها الحنان الشفيف والأخوة السامية ، وفيها الإنسانية تحلق فى جواء مترعة من الأفكار وعالم حالم من الصور ؛ هنالك حيث يلتقى الناس إخوة — وتمتزج الأرواح فى همس .

كم حلقت بى كلماتك الدابغة التى تنفس على صفحات الرسالة والتى قرأتها اليوم — تلك القصة الرائعة التى سجلها قلمك الحى والتى أعجب أنك إنما صغتها من كلمات وكلمات فقط . نعرفها جميعاً ونقرؤها كثيراً ، ولكنها تتجمع هنا وتتآلف لتكون لحناً وتصوغ سمفونية خالدة !

قصة الدموع التى شابت ! كم حركت الشجن فى صدرى ، وكم أثارت كوامن الحزن فى نفسى — نفسى التى عرفت الحزن وألفته وهامت به ، الحزن الذى يصقل النفس ، ويبلور العواطف ، ويجنح بالفكر إلى العلو ..

هذا الصديق الذى كان لحناً توارى بين لجاج الصمت ، وكان حلماً تبدد على صيحة مفزعة لملك الموت — هذا الإنسان الذى عاش فى حساب الزمن سنوات قلائل ، وعاش دهراً فى حساب التجارب والمحن .. هذا الإنسان الصديق ، الذى لم أره من قبل أريد ياسيدى الكاتب أن أعرفه .

أكتب لنا قصته فهو أولى الناس بأن تكتب عنه . لا تهب ياسيدى نبش القبور ، ولا تتردد فى تقليب الذكريات وبعثها من مثواها الأخير ، الثائر فى أعماق الصمت .. فقد مات الإنسان ولا أحد يعرفه ، عاش مغموراً ومات كذلك .. ذهبت الأنات لم تصل إلى أذن ، وتبددت الزفرات لم يشعر بها إنسان إلا أنت .. لقد ثوى الجسد فى القبر وأصبحت الذكريات ملكاً للإنسانية الهائمة على مسرح الأرض . ونحن بشر تجاربنا تدور حول أنفسنا .

نبدأ ثم نعيد ، مغمض الأعين ، مغلق السمع ، مطموس الحس .. فاكتب عنه ياسيدى على ضوء تلك الرسائل التى بعث بها إليك ، فإنك إذ تفعل إنما تضيف إلى تجارب الإنسانية تجارب . وإلى روضة الفن باقة غالية !

إفعل ذلك بحق الفن .. وفى الانتظار ، تقبل تحيات المخلص المعجب :

سعيد كامل

كلية الآداب — قسم الفلسفة

هذه رسالة من بعض رسائل تلقيتها حول قصة الدموع التى شابت . إنها تعبر عن رجع الصدى العميق الذى هز قلوبا ومشاعر وتنوب عن بقية الرسائل فى إظهار المحور النبيل الذى تدور حوله رغبة ورجاء .

ياصديقى الذى كتبت إلى .. لقد كنت أود أن أقص عليك وعلى الناس قصة ذلك الإنسان البائس ، ولكن هناك أحياء سيفجر مداد القلم دماء جراحهم إذا ما كتبت ! . إن وراء السطور مأساة نسج خيوطها القدر ، وقام بإخراجها الزمن ، واشترك فى تمثيلها بعض الناس .. فيهم الشيطان الثائر ؛ وفيهم الملاك الطاهر ، وفيهم الإنسان الشهيد ! أما المسرح فقد كان هناك .. فى الإسكندرية ، وأما النظارة فقد كانوا هنا — فى القاهرة ، كانوا فرداً واحداً يستمع إلى القصة تنقل إليه على أمواج الأثير فى كلمات ، ولكم تناول هذا الفرد الواحد قلمه ليجفف الدموع التى فاضت — ولكنها شابت ! !

وهاهو ذا يحاول اليوم أن يكتب القصة ، ولكنه يقف حائراً بين أمرين : رغبة القراء — ولوعة الأحياء ! ترى هل يرضى الفن فيستجيب لندائه ، أم يخضع لصوت الضمير فيقبض قلمه إلى حين — إلى أن تهدأ الرياح ، وتلتئم الجراح ، وتتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان ! ؟

إننى فى انتظار الرأى من كل صاحب رأى — وعلى الذين ينشدون عرض المأساة على صفحات الرسالة أن يتدبروا هذه الحقيقة وهى أن هناك أموراً على جانب من الخطورة ستذكر ، ولا أمن إذا ما اطلع عليها أصحابها أن يتهدم بيت وتتحطم أسرة !!

أوربا بين الحلبة والعالم :

أسمع صيحة تتردد على الشفاه أحياناً ، ثم تنتقل من الشفاه إلى الورق أحياناً أخرى ؛ أعنى أنها تنتقل من ميدان الحديث

المسموع إلى ميدان الرأى المكتوب — وجوهر الصيحة أو خلاصتها هو أن أدبنا لا يمثلنا ، وهدفها أو غايتها هو أننا نريد أدبا مصريا ؛ أدبا ينبئ عن الشخصية المصرية ، ويوحى إلى الطابع المصرى ، ويقبس من بيئتنا صوره وألفاظه ومعانيه !

صيحة يطلقها بعض المتعصبين عن جهل ، ورأى يجهر به بعض المتعالين بغير علم ، و « وطنية أدبية » ينادى بها بعض « القوميين » على غير هدى وبصيرة — يريدون أدبا مصريا ، ماذا يقصدون بالأدب المصرى ؟ هل يقصدون أن يهمل الكتاب والشعراء والقصاصون كل ما يتصل بالتجربة الشعورية الخاصة ، وبالنفس الإنسانية العامة ، وبالحياة فى كل أفق من آفاقها الرحيبة ، ليفرغوا لكل مشكلة يومية تعترض طريق الكادحين من أبناء الشعب ، وكل ظاهرة اجتماعية تهم المشرفين على مصالح الناس ، وكل مشهد تقع عليه العين ويلتقطه الخاطر فى نطاق المجتمع الذين يعيشون فيه ؟! أغلب الظن أنهم يرمون من وراء صيحتهم إلى هذا كله ؛ وإلى ما هو أبعد من هذا كله ؛ فإذا رحل الشاعر المصرى مثلا إلى ربوع سويسرا وجادت مخيلته بقائمة شعرية حول بحيرة ليمان قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب سويسرى هذه بضاعة أجنبية ، نريد أدبا مصريا نريد بضاعة وطنية — عندك يا أخى بحيرة البرلس وبحيرة أدكو وبحيرة المنزلة ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟ ! وإذا تنقل القصاص المصرى مثلا بين أحياء باريس ثم مكست ريشته بعض صور الحياة فى مونبارناس قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب فرنسى هذه آفاق غربية ، نريد أدبا مصريا نريد آفاقا شرقية — عندك يا أخى حى السيدة والحسين وخان الخليلى ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟! وإذا طاف الكاتب المصرى مثلا بأى بلد أوربى فاستمع إلى أدبائه ونقل ما سمع إلى مواطنيه ، أو قضى ساعات بين كتب الغرب ثم تحدث عن رحلته الفكرية إلى قارئيه قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب البرنطين هذه أفكار أعجمية ، نريد أدب المطربشين نريد أفكارا عربية — يا أخى عندنا فلان وفلان وأنهم لمن سلالة الجاحظ وأبى حيان وابن المقفع وابن العميد فمالنا ولجان سارتر وجورج ديهامل وبول كلودل وأندريه جيد ؟ ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟!

هذا هو جوهر الصيحة أو خلاصتها أو هذا هو الهدف الذى تلوذ به وترمى إليه ، وتلك أن ترد الجوهر والهدف مما إلى تلك الدوافع التى حدثتك عنها من قبل ، وتلك أن ترد تلك الدوافع إلى مصدر واحد هو مركب النقص — يريدون أن يحصروا الأدب المصرى فى بيئتهم لأنهم لا يعرفون غير هذه البيئة ، ويريدون أن يفرضوا على الأدب المصرى ألا يتحدث بغير لغتهم لأنهم لا يفهمون غير هذه اللغة ، ويريدون أن يقصوا أجنحة الأدب المصرى إذا حلق فى غير أفقهم لأنهم لا يطيقون غير هذا الأفق ، ويريدون أن يكتموا أنفاس الأدب المصرى إذا عب من هواء الحرية فى غير جوهم لأنهم لا يستطيبون غير هذا الجو بما فيه من هواء — ولا بأس من الجمود والركود ، ولا بأس من الخمول والرجعية ، ولا بأس من البقاء فى المعاقل دون التطلع إلى ما وراء الأسوار . لا بأس من هذا كله ما دمنا نريد أدبا مصريا ، أدبا يمثلنا ، أدبا لا يصح أبدا أن يتخطى حدود الزمان والمكان ! !

أدب محلى هذا الذى يريدون ، لأنهم لا يدركون أثر العالمية فى الأدب ولا قيمتها فى حساب الخلود — كلا يا أصحاب الصيحة السافرة والغيرة الصاخبة ، إننا نريد أدبا إنسانيا لا مصريا ، أدبا يقرؤه الذين هنا والذين هناك ، أدبا ينفتح عن مصادر الإلهام ومنابع الوحى فى كل قطر من الأقطار وكل بقعة من البقاع ، أدبا يخاطب الوجدان فى كل نفس بشرية ويستنطق الحياة أينما طافت عدسته بمواكب الأحياء ، أدبا يطالعه القارئ من كل جنس ولون فيحس أنه قد كتب له ، أدبا يصور الخلجة كما تضطرب فى أعماق الصدر ، والحقيقة كما تهدر من أغوار القلب ، والنزعة كما تنحدر من أوكار النفس ، والنزوة كما تتنزى بين قيود الطبع — وهذه هى المرآة الصافية المصقولة التى تلتقى على صفحتها كل الوجوه ، وتأتلف كل المشاعر ، وتتعانق كل الأرواح . هنا وفى كل أرض يرتفع فوق ثراها صوت الفن ، وترفرف فى سمائها راية الفكر ، وتتجاوب فى أرجائها صيحات الباحثين عن أنفسهم فى زحمة هذا الوجود ! !

إنك لن تجد فى فرنسا من يقول نريد أدبا فرنسيا ، ولن تجد فى روسيا من يقول نريد أدبا روسيا ، ولن تجد فى ألمانيا من يقول نريد أدبا ألمانيا ، ولن تجد فى إنجلترا من يقول نريد أدبا